

أغلق جامع الزيتونة... وهدم معالم تونس... وأقصى رفاق النضال

الحبيب بورقيبة: تبنى الغرب وتخلي عن الهوية العربية والإسلامية

خالد النجار *

لعل بورقيبة كان قد مات عدة مرات قبل أن يموت. مات يوم أطيح به، ومات ثانية يوم خرج ينتخب من أطحوا به، ومات للمرة الثالثة عندما سقط مشروعه الذي هو مشروع علماني النهضة من مشروع علماني النهضة من مشروع آخر القرن التاسع عشر ممن كان يدعو إلى تقليد الغرب تقليداً مطلقاً حتى نصير أقبواً وحدائين مثله.

ظهر أمر لولة بورقيبة مع حركة الإنشقاق عن الحزب الحر الدستوري التونسي التي قادها رفيقه الدكتور محمود المطايري ثلاثينات هذا القرن (ولكن بعدما استولى بورقيبة على الحكم وكتب التاريخ صار هو قائد الإنشقاق في الرواية الرسمية). أجل لقد سقط مشروعه لأنه بدأ يسهو الهوية العربية الإسلامية لتونس. لقد ربط الخروج من التخلف بالتغريب وبالتالي عن الهوية مما جعله شبيهاً برؤساء أفريقيا السوداء خرجي المردة الكولونيالية الفرنسية. وهكذا بدأ بان ألق جوامع الزيتونة الذي شكل الصرح المادي والروحي الذي تصورت حوله حياة التونسيين قبل أن يجيء الحبيب بورقيبة بثقافته الفركوفونية الكولونيالية المعادية لكل ما هو عربي إسلامي، فقد تطابق في إيديولوجيته كما ذكرت الماضي مع العروبة والإسلام، وبالتالي مع التخلف، وتطابق الحاضر مع الغرب وبالتالي مع الحضارة، الغرب كنموذج قابل للاستيراد،

والمسألة بسيطة وهي أن تهدم كل ما لديك وتأخذ كل شيء من الغرب وتصير وبطرفة عين منحضراً... هكذا!... وهي الإيديولوجيا مصطفي كمال أتاتورك في عشرينيات هذا القرن، وهي التي قادت من بعده شاه إيران إلى ماساته، وعلى ذكر مصطفى كمال أتاتورك فمن تناقضات الحبيب بورقيبة الكثيرة أنه هو المعادي للعسكر نراه يتخذ من شخصية عسكرية في شخصية مصطفى كمال أتاتورك بطلاً ومثالاً ونموذجاً يحتذى.

هكذا جاء بورقيبة من قرية من قرى الساحل التونسي فلم تتقبله العشوات التونسية العريقة، لم يتقبله أكابر تونس. جاء مع الإنشقاق الذي قادته فردي لم يكن ضمن برنامج الحزب الحر الدستوري التونسي، ولا ثم عن طريق استفتاء شعبي.

وأغلق جامع الزيتونة - وهو من أكبر جامعات العالم الإسلامي، بل من أكبر جامعات العالم في العصر الوسيط إلى جانب الأزهر في مصر وجامع القرويين في المغرب - وأجمل حلقات العلم التي ظلت منمنمة فيه على امتداد قرون طويلة وتخرجت منه عقول كبيرة من أمثال ابن خلدون الذي ولد على مرمى حجر من الجامع وابن عرفة بل إن النخبة التونسية في القرن العشرين هي زيتونية من خير الدين باشا التونسي إلى الشيخ عبدالعزیز الشعالبي مؤسس الحزب الحر الدستوري التونسي إلى الشيخ محمد الخضر ابن الحسين الذي انتقل إلى مصر وتولى هناك مشيخة الأزهر الشريف أواسط هذا القرن هي العلامة محمد الطاهر بن عاشور، إلى الطاهر الحداد،

والطاهر الخميري وابو القاسم الشابي الذين قادوا التصديح الفكري والاجتماعي والأدبي في تونس النصف الأول من هذا القرن.

باختصار أحدث بورقيبة رجة هائلة ودراماتيكية أحياناً أخرى ومقتالية في أغلب الأحيان بدأ بان نكل بالكل بمجرد أن عهده وزيراً أكبر... الملك الذي قال لي عنه صفر وغيرهم، ومن عاصره مثل عبدالناصر، وطال تعريفه الزعيم البيري يوغرطة الذي حارب الرومان في قرطاج قبل أكثر من ألفي سنة فلم يترك فرصة إلا وصرح فيها للصحافة الأجنبية: «يوغرطة فشل وأنا انتصرت، وهذا... وأنا لا أعرف، ولا أفهم باليوسفيين، وتكل برجال شخصيات تقدمه في الزمن بالاف وجماعة صوت الطالب وتكل بالثوغيين، وتكل بجماعة أفاق وتكل بالناصريين وبالبعثيين وتكل بالنقابيين وجميع أفرع اليسار، وتكل بالاسلاميين، وتكل ببعض رفاق النضال، وماجد في خطبه المثقفين والكتاب ممن سماهم بجماعات القصة



بورقيبة على أكتاف أنصاره بعد عودته من المنفى في ١٩٥٥

والأقصوصة كما طال شتمه من سيقه من الزعماء مثل مؤسس الحزب الشيخ عبدالعزیز الشعالبي، والزعماء علي باش الشعالبي وحسان القلاطي وشيخ صفر وغيرهم، ومن عاصره مثل عبدالناصر، وطال تعريفه الزعيم البيري يوغرطة الذي حارب الرومان في قرطاج قبل أكثر من ألفي سنة فلم يترك فرصة إلا وصرح فيها للصحافة الأجنبية: «يوغرطة فشل وأنا انتصرت، وهذا... وأنا لا أعرف، ولا أفهم باليوسفيين، وتكل برجال شخصيات تقدمه في الزمن بالاف وجماعة صوت الطالب وتكل بالثوغيين، وتكل بجماعة أفاق وتكل بالناصريين وبالبعثيين وتكل بالنقابيين وجميع أفرع اليسار، وتكل بالاسلاميين، وتكل ببعض رفاق النضال، وماجد في خطبه المثقفين والكتاب ممن سماهم بجماعات القصة



كما فعل بالضبط البلاشفة من قبله، وجوزيف تشاوسوسكو من بعده، بكل التراث المعماري الروماني... ما بدأ في حينه في تونس آخر الخمسينيات وأول الستينات وكانت ثورة ثقافية. وهدم أهم معالم مدينة تونس... عمل المعاول في أسوارها من القصراني نزلوا إلى باب سيدي قاسم الجزائري إلى باب سيدي عبدالله إلى باب البنات إلى باب بوسعسون، إلى باب سيدي عبدالسلام إلى باب العسل... وعمل المعاول في باب المارة الذي يعد من أهم معالم وصروح مدينة تونس جسماً لتساوي وزنها ذهاباً، وهدم القصة القديمة فنية وتاريخية، كان يقول عنه المستشرق الهولندي الكبير جوزيف شاخت أنها بوابة التوحيد في المحافل الغربية وهي قلعة تونس العتيقة من أيام بني حفص وقاعدة ملكهم، وهدم أحياء الحفصية وسيدي مردوم

وباب السويقة والغريب أنه أزال في باب سويقة جانباً من شارع باب البنات الذي يضم بيت الزعيم صالح بن يوسف، وترك الجانب الذي به المكتب الذي مارس فيه هو الحمامة لسنوات قليلة.

وكاد يهدم كل النباتات التي على جانبي نهج جامع الزيتونة وكذلك كل النباتات والأحياء التي تمتد من القصبة إلى باربو، فقد كان يعلم بشق طريق من الجامع الأعظم إلى البحر مروراً بشارع جول فيري، وشق طريقاً آخر متصلاًب معه يمتد من القصبة إلى بنزرت على بعد سبنتين كيلومتراً شمال مدينة تونس لولا وقوف المؤرخ والآثري التونسي سليمان مصطفى زيبس في وجه هذا المشروع قاتلاً لبورقيبة بلطفه وكياسته الإندلسية المعهودة: «هذا المشروع ينطوي على هدم كثير وأما لا أريد أن يقال غداً أن بورقيبة هدم مدينة تونس...» وكلام من هذا القبيل. وكاد يهدم أيضاً أسوار مدينة القيروان التاريخية على عهد أحد وزراء ثقافته وهو رجل جندوبي من أصل جزائري له كل ملامح وقيافة المستشرق المحلي لولا وقوف المؤرخ التونسي ابراهيم شوبق بقوه ليمنع هذا الهدم.

وهكذا لم يعد للتونسي بلد يعرفه أو تغيرت ملامح الأرض. ولم يعد للتونسي ماض فكل شيء يبدأ ببورقيبة وينتهي ببورقيبة، وهكذا لم تعرف الأجيال التي جاءت بعد الاستقلال أي صورة لتونس خارج الصورة التي رسمها بورقيبة والتي وضع فيها نفسه. وهكذا بدأ بعض التونسيين في المحافل الغربية وكانهم يشبهون العرب. هنا يلتقي بورقيبة مع تشاوسوسكو ومع ماو تسي تونغ

* كاتب تونسي.

كان هذا الحزب قد أسسه الزعيم والفكر والمصلح الاجتماعي الشيخ عبدالعزیز الشعالبي سنة ١٩٢٠ وتم الاعتراف به رسمياً في قصر الملك سيدي محمد الناصر باي والرواية تقول: «شكل الحزب وقدأ لمقابلة أمير البلاد الأمير المذكور فتقدم له بمطالب الاستمرار بعد أن لقي رئيس الوفد خطاباً على مسامح الأمير وبذلك أصبح الحزب معترفاً به قانوناً. حيث قابل وفده صاحب البلاد وتلقى منه كل تأييد وتشجيع فقد تظف الباي للوفد بقوله: «الست واحداً منكم أحسن كما تحسون وأشعر كما تشعرون».

للذكرى والتاريخ: لقاءات مع بورقيبة وشجون عربية

عبد الجليل دوق *

ومن أميركا اللاتينية إلى أفريقيا... ومن كراتشي حيث الرئيس محمد علي بوتو إلى بوخارست حيث الرئيس تشاوشيسكي وزوجته، نضحي بورقيبة في ليل الدستور التونسي وحمايته ووضوحه وعاش بعد ذلك ثلاث عشرة سنة عزيزاً مكرماً في رعاية شاملة حتى أنه لو كان بإمكان زين العابدين بن علي أن يهبه صحة جديدة لعمر أطول ما تردد لحظة.

التقيت في أحد الأيام واحداً من كبار أطباء الرئيس بورقيبة في عيادته وهو الدكتور محمود بن الناصر، ودار بيننا حديث عن السياسة والسياسيين فسألته عن صحة الرئيس بورقيبة، فأجابني مرتاحاً: «عاد الرئيس بورقيبة إلى صحته أو عادت له صحته، ذلك أننا حينما عنه الأوبئة المخدرة التي كنا نستعملها له، فلم يعد في حاجة إليها بعد أن تخلى من الحكم. وأصبح هكذا في حالة وعي لم يكن عليها في السنوات الأخيرة لعهد، وعاد إلى أشعاره التي يحفظها عن ظهر قلب، وإلى أداب راسين وموليين ولأميرتين وابن المقفع والنسماول». وأضاف الدكتور بن الناصر يدعو خيراً للرئيس زين العابدين بن علي: «جزاء الله خيراً، أن شاء الله بلغناه في أيدائه» (أي أن يبرر له أنباءً مطلقاً فعل هو مع بورقيبة) وحكى لي الدكتور محمود بن الناصر أن بورقيبة طلب يوماً من القاضيين على شؤونته في البيت الفاخر الذي وضع على دمنه بالمنستير أن ياتوه براديو ترانزستور إضافي. ولما استشار المسؤولين بولاية المنستير السياسي الإن من أعلى مصدر وليس من الوالي بل من الرئيس بن علي نفسه: «إذ طلب منكم الرئيس بورقيبة أي شيء وقروه له فوراً، أن شاء الله يكون حليب الغلوة» (أي ولو كسان طلب منكم لبن العصفور).

ليس هذا التوهيه مجاملة، ولكنه حقيقة تاريخية باعتبارها سابقة أولى كم هي عالية وسامية ومنازة في تاريخ الأخلاق السياسية، وتم هي قسوة في المحيط لم يأتها السابقون. أن تعقيب هذه الحقيقة الفضلى هو بمثابة جحدو وتعميم ومحاولة تزييف مثلما فعلته بعض أجهزة الإعلام الفرنسية البراحة وهي التعلل ففاه بورقيبة وتداول التوثيق والتفكيك على طريقتها. وتعاتت تلك الأجهزة عن الحقيقة التي ركزها زين العابدين بن علي وزوجته في التاريخ السياسي الجريدة التي وقفت ضده مع صاحب بن يوسف (غريمه) ومعارضه الأول بالرغم من أنه كان للوفاء والكفاح وامنياً عاماً للحزب الذي يترأسه بورقيبة، وقال لي والخاصون وقوف كلهم أذان صاغية، دعوت يوماً الحبيب شيخ روحه (صديق الجريدة) وسألته لماذا وقف ضدي مع بن يوسف فأجابني: لست الوحيد

الذي وقف ضدك بل جل أعضاء الحزب فقولوا ذلك. فقلت له: إننا بقيت وحدى! فأجابني: كلا، إنما وقف معك الشعب، قالها الرئيس مشيحاً ومزكياً أن الشعب معه دائماً.

ما صدنا نخرج من صالون الرئيس حتى سمعناه ينادي: «دوق... يا دوق». التفتنا فإذا الرئيس بورقيبة بنفسه يدعو ورأنا في المر ليقول لنا: نسيت ملاحظة لم أسردها عليكم، فالرئيس السوفياتي كوسيفين زارني قداماً من ليبيا والجزائر، وأول ما قاله لي أن ليبيبا المنتجة للجزائر من أكبر الدول المنتجة للبتترول، ولكنه وجد البترول في تونس (أي الخير العميم) وليس في ليبيا، وهذا دليل أن البترول ليس عنوان رخاء، ولكن العقريّة.

وأضاف الرئيس بورقيبة يقول لنا: زارني أيضاً طبيب سيبسي السويسري وقال لي: «زرت السوق المركزي، فسانا أقيس عيش الشعب (أي مستوى معيشتها) من خلال أسواقها وأزورها كلما تزلت في أي بلد، ورايت الخيرات على أريكة وسط صالة الجناح المركزي بالعاصمة. بلانك يا سيدي الرئيس بخير».

استبقنا السيدة وسيلة بورقيبة بيوها في تونز حتى تقوم مع الرئيس بجولته في الواسات وهي جولة اعتاد الرئيس أن يقوم بها يوماً متعباً على الأقدام كرياضة يومية (كان مواظباً على المشي يومياً أينما كان).

في استراحة الجولة لاحظ الرئيس أننا كنا من بين مرافقيه فيادي سروره بذلك قائلًا: «ها انتم لا تفارقاني كصحافيين لا نتمتلكان، فبقارنا بالقول: أنا نحتفي وندعوا نحن على احترامهم بمرور ثمانين من الاحتلال، وحضرت نوتوكم الصحافية الشهيرة وعانيت ما دار فيها. سن الرئيس للاك وقال لعرفان: «أحك لهم (أي الخسوس)...»

كان الرئيس بورقيبة في ذلك العهد على خلاف كبير مع الرئيس عبدالناصر في طرائق التعاطي مع القضية الفلسطينية ومع الجامعة العربية وإيضاً مع أذاعة صوت العرب، فمضخاً عن رايه بأن الشعب الفلسطيني يجب أن يعتمد على نفسه لتحرير وطنه وإقامة دولته وليس على الدول العربية، فنظمت مصر حملة اعلامية كبرى إذاعة صوت العرب والشعري وإذاعة صوت العرب وخاصة عندما ذهب الرئيس بورقيبة في تلك الجولة العربية إلى أريحا وحاطب الفلسطينيين بما معناه أنهم لا ينبغي لهم أن ينتظروا شيئاً من التعويل على الدول العربية وأن النضال ينبغي أن يكون فلسطينياً أولاً وبالتالي فلا يعتمدون على الائتلفة العربية أو تلك على الجامعة العربية، وضرب لهم مثلاً لذلك:

الذي وقف ضدك بل جل أعضاء الحزب فقولوا ذلك. فقلت له: إننا بقيت وحدى! فأجابني: كلا، إنما وقف معك الشعب، قالها الرئيس مشيحاً ومزكياً أن الشعب معه دائماً.

ما صدنا نخرج من صالون الرئيس حتى سمعناه ينادي: «دوق... يا دوق». التفتنا فإذا الرئيس بورقيبة بنفسه يدعو ورأنا في المر ليقول لنا: نسيت ملاحظة لم أسردها عليكم، فالرئيس السوفياتي كوسيفين زارني قداماً من ليبيا والجزائر، وأول ما قاله لي أن ليبيبا المنتجة للجزائر من أكبر الدول المنتجة للبتترول، ولكنه وجد البترول في تونس (أي الخير العميم) وليس في ليبيا، وهذا دليل أن البترول ليس عنوان رخاء، ولكن العقريّة.

وأضاف الرئيس بورقيبة يقول لنا: زارني أيضاً طبيب سيبسي السويسري وقال لي: «زرت السوق المركزي، فسانا أقيس عيش الشعب (أي مستوى معيشتها) من خلال أسواقها وأزورها كلما تزلت في أي بلد، ورايت الخيرات على أريكة وسط صالة الجناح المركزي بالعاصمة. بلانك يا سيدي الرئيس بخير».

استبقنا السيدة وسيلة بورقيبة بيوها في تونز حتى تقوم مع الرئيس بجولته في الواسات وهي جولة اعتاد الرئيس أن يقوم بها يوماً متعباً على الأقدام كرياضة يومية (كان مواظباً على المشي يومياً أينما كان).

في استراحة الجولة لاحظ الرئيس أننا كنا من بين مرافقيه فيادي سروره بذلك قائلًا: «ها انتم لا تفارقاني كصحافيين لا نتمتلكان، فبقارنا بالقول: أنا نحتفي وندعوا نحن على احترامهم بمرور ثمانين من الاحتلال، وحضرت نوتوكم الصحافية الشهيرة وعانيت ما دار فيها. سن الرئيس للاك وقال لعرفان: «أحك لهم (أي الخسوس)...»

كان الرئيس بورقيبة في ذلك العهد على خلاف كبير مع الرئيس عبدالناصر في طرائق التعاطي مع القضية الفلسطينية ومع الجامعة العربية وإيضاً مع أذاعة صوت العرب، فمضخاً عن رايه بأن الشعب الفلسطيني يجب أن يعتمد على نفسه لتحرير وطنه وإقامة دولته وليس على الدول العربية، فنظمت مصر حملة اعلامية كبرى إذاعة صوت العرب والشعري وإذاعة صوت العرب وخاصة عندما ذهب الرئيس بورقيبة في تلك الجولة العربية إلى أريحا وحاطب الفلسطينيين بما معناه أنهم لا ينبغي لهم أن ينتظروا شيئاً من التعويل على الدول العربية وأن النضال ينبغي أن يكون فلسطينياً أولاً وبالتالي فلا يعتمدون على الائتلفة العربية أو تلك على الجامعة العربية، وضرب لهم مثلاً لذلك:

الذي وقف ضدك بل جل أعضاء الحزب فقولوا ذلك. فقلت له: إننا بقيت وحدى! فأجابني: كلا، إنما وقف معك الشعب، قالها الرئيس مشيحاً ومزكياً أن الشعب معه دائماً.

ما صدنا نخرج من صالون الرئيس حتى سمعناه ينادي: «دوق... يا دوق». التفتنا فإذا الرئيس بورقيبة بنفسه يدعو ورأنا في المر ليقول لنا: نسيت ملاحظة لم أسردها عليكم، فالرئيس السوفياتي كوسيفين زارني قداماً من ليبيا والجزائر، وأول ما قاله لي أن ليبيبا المنتجة للجزائر من أكبر الدول المنتجة للبتترول، ولكنه وجد البترول في تونس (أي الخير العميم) وليس في ليبيا، وهذا دليل أن البترول ليس عنوان رخاء، ولكن العقريّة.

وأضاف الرئيس بورقيبة يقول لنا: زارني أيضاً طبيب سيبسي السويسري وقال لي: «زرت السوق المركزي، فسانا أقيس عيش الشعب (أي مستوى معيشتها) من خلال أسواقها وأزورها كلما تزلت في أي بلد، ورايت الخيرات على أريكة وسط صالة الجناح المركزي بالعاصمة. بلانك يا سيدي الرئيس بخير».

استبقنا السيدة وسيلة بورقيبة بيوها في تونز حتى تقوم مع الرئيس بجولته في الواسات وهي جولة اعتاد الرئيس أن يقوم بها يوماً متعباً على الأقدام كرياضة يومية (كان مواظباً على المشي يومياً أينما كان).

في استراحة الجولة لاحظ الرئيس أننا كنا من بين مرافقيه فيادي سروره بذلك قائلًا: «ها انتم لا تفارقاني كصحافيين لا نتمتلكان، فبقارنا بالقول: أنا نحتفي وندعوا نحن على احترامهم بمرور ثمانين من الاحتلال، وحضرت نوتوكم الصحافية الشهيرة وعانيت ما دار فيها. سن الرئيس للاك وقال لعرفان: «أحك لهم (أي الخسوس)...»

كان الرئيس بورقيبة في ذلك العهد على خلاف كبير مع الرئيس عبدالناصر في طرائق التعاطي مع القضية الفلسطينية ومع الجامعة العربية وإيضاً مع أذاعة صوت العرب، فمضخاً عن رايه بأن الشعب الفلسطيني يجب أن يعتمد على نفسه لتحرير وطنه وإقامة دولته وليس على الدول العربية، فنظمت مصر حملة اعلامية كبرى إذاعة صوت العرب والشعري وإذاعة صوت العرب وخاصة عندما ذهب الرئيس بورقيبة في تلك الجولة العربية إلى أريحا وحاطب الفلسطينيين بما معناه أنهم لا ينبغي لهم أن ينتظروا شيئاً من التعويل على الدول العربية وأن النضال ينبغي أن يكون فلسطينياً أولاً وبالتالي فلا يعتمدون على الائتلفة العربية أو تلك على الجامعة العربية، وضرب لهم مثلاً لذلك:

الذي وقف ضدك بل جل أعضاء الحزب فقولوا ذلك. فقلت له: إننا بقيت وحدى! فأجابني: كلا، إنما وقف معك الشعب، قالها الرئيس مشيحاً ومزكياً أن الشعب معه دائماً.

ما صدنا نخرج من صالون الرئيس حتى سمعناه ينادي: «دوق... يا دوق». التفتنا فإذا الرئيس بورقيبة بنفسه يدعو ورأنا في المر ليقول لنا: نسيت ملاحظة لم أسردها عليكم، فالرئيس السوفياتي كوسيفين زارني قداماً من ليبيا والجزائر، وأول ما قاله لي أن ليبيبا المنتجة للجزائر من أكبر الدول المنتجة للبتترول، ولكنه وجد البترول في تونس (أي الخير العميم) وليس في ليبيا، وهذا دليل أن البترول ليس عنوان رخاء، ولكن العقريّة.

وأضاف الرئيس بورقيبة يقول لنا: زارني أيضاً طبيب سيبسي السويسري وقال لي: «زرت السوق المركزي، فسانا أقيس عيش الشعب (أي مستوى معيشتها) من خلال أسواقها وأزورها كلما تزلت في أي بلد، ورايت الخيرات على أريكة وسط صالة الجناح المركزي بالعاصمة. بلانك يا سيدي الرئيس بخير».

استبقنا السيدة وسيلة بورقيبة بيوها في تونز حتى تقوم مع الرئيس بجولته في الواسات وهي جولة اعتاد الرئيس أن يقوم بها يوماً متعباً على الأقدام كرياضة يومية (كان مواظباً على المشي يومياً أينما كان).

في استراحة الجولة لاحظ الرئيس أننا كنا من بين مرافقيه فيادي سروره بذلك قائلًا: «ها انتم لا تفارقاني كصحافيين لا نتمتلكان، فبقارنا بالقول: أنا نحتفي وندعوا نحن على احترامهم بمرور ثمانين من الاحتلال، وحضرت نوتوكم الصحافية الشهيرة وعانيت ما دار فيها. سن الرئيس للاك وقال لعرفان: «أحك لهم (أي الخسوس)...»

الذي وقف ضدك بل جل أعضاء الحزب فقولوا ذلك. فقلت له: إننا بقيت وحدى! فأجابني: كلا، إنما وقف معك الشعب، قالها الرئيس مشيحاً ومزكياً أن الشعب معه دائماً.

ما صدنا نخرج من صالون الرئيس حتى سمعناه ينادي: «دوق... يا دوق». التفتنا فإذا الرئيس بورقيبة بنفسه يدعو ورأنا في المر ليقول لنا: نسيت ملاحظة لم أسردها عليكم، فالرئيس السوفياتي كوسيفين زارني قداماً من ليبيا والجزائر، وأول ما قاله لي أن ليبيبا المنتجة للجزائر من أكبر الدول المنتجة للبتترول، ولكنه وجد البترول في تونس (أي الخير العميم) وليس في ليبيا، وهذا دليل أن البترول ليس عنوان رخاء، ولكن العقريّة.

وأضاف الرئيس بورقيبة يقول لنا: زارني أيضاً طبيب سيبسي السويسري وقال لي: «زرت السوق المركزي، فسانا أقيس عيش الشعب (أي مستوى معيشتها) من خلال أسواقها وأزورها كلما تزلت في أي بلد، ورايت الخيرات على أريكة وسط صالة الجناح المركزي بالعاصمة. بلانك يا سيدي الرئيس بخير».

استبقنا السيدة وسيلة بورقيبة بيوها في تونز حتى تقوم مع الرئيس بجولته في الواسات وهي جولة اعتاد الرئيس أن يقوم بها يوماً متعباً على الأقدام كرياضة يومية (كان مواظباً على المشي يومياً أينما كان).

في استراحة الجولة لاحظ الرئيس أننا كنا من بين مرافقيه فيادي سروره بذلك قائلًا: «ها انتم لا تفارقاني كصحافيين لا نتمتلكان، فبقارنا بالقول: أنا نحتفي وندعوا نحن على احترامهم بمرور ثمانين من الاحتلال، وحضرت نوتوكم الصحافية الشهيرة وعانيت ما دار فيها. سن الرئيس للاك وقال لعرفان: «أحك لهم (أي الخسوس)...»



... ويلقي خطاباً بعد اعلان الجمهورية في ١٩٥٧

الاعتراف بالفضل لأمله من شرارة تحسنة الحظ هذه أن تعقب الله من بين الرجال التونسيين رجلاً ذا مروءة عالية انقذ الرئيس بورقيبة من مهانة النهاية السيئة التي كان يتوقها له الجميع، ذلك الرجل الكريم هو الرئيس زين العابدين بن علي الذي جعل بورقيبة يقضي بقية حياته كاتكر سياسي عزيز مبجل في تاريخ تونس وفي عصرنا الحديث بعناينا العربي الإسلامي وفي نصف العوالم من الصين حيث يقف إليه «مساء» إلى الإتحاد السوفياتي حيث خروتشيف...

وساعده على التماسك. وخطابنا الرئيس قائلًا: أنا ذاهب إلى اميركا ليس للعلاج فقط، ولكن لأن الاميركيين اصدقائنا. اتعرفون انني لم أتزوج قط بالاسلح من الاتحاد السوفياتي؟ تدارك وزير الخارجية الموقف بأن أضاف: لكن لولا بخمس دقائق. وفشلت كل محاولاتي وتدخلاتي لدى السيدة وسيلة بورقيبة ومدير ديوان الرئيس وبعض الوزراء في الأثناء حانت فرصة تشييت لنا وهي سفر الرئيس إلى واشنطن عبر باريس للعلاج. فوراً اتصلت بسفير تونس في باريس السيد الهادي المبروك وعرضت عليه الموضوع ورد بسرعة: اتصلت بي أنت وعرفان في السفارة هنا باريس يوم الخميس وسأدخلكما عند الرئيس. وهكذا كان. اتصلت بعرفان في لندن وعلمته بضورة الحضور إلى السفارة التونسية مع الرئيس من محادثة مع مندوب تونس لدى الأمم المتحدة في جنيف السيد محمد الناصر ثم أخذنا السفير للرئيس وكان واضحاً أنه متداعي للصحة وكان يحاول أن يخفي عنك ذلك قائلًا: ها انكما تلاحظان أن محنتي مرضية وانني لست محزوناً وانما عازتيه مهم قبل أن يحين الأجل. اقترح علي وزير الخارجية السيد الباجي قائد السبسي عندما رغبت منه التوسط لإجراء هذا اللقاء أن أقدم اسئلة كتابية تجرئ الإجابة عليها كتابياً لأن الرئيس

بالمعودة الى المنزل دعانا للركوب معه في سيارته وحادثنا طوال الطريق ليس في السياسة لكن في القضايا البحتري وإساطين الشعراء العرب القدامى مبدياً بذلك قدرة فائقة جداً في استيعاب الشعر العربي وليس الفركوفوني فقط. واصر الرئيس ان يودعنا بنفسه ونحن نبراح نزل فونز بالاسن عائدين الى العاصمة جنيف يصرونوا لفلطين: كلا لم ننظر وحيرنا عندما على أنفسنا وخسنا الكفاح ولم نلتق منهم مساعدا ولو برضاة واحدا. وعرض الرئيس بورقيبة برنامجا سياسيا يدعو للفلسطينيين لإعلان اعترافهم بالقرار الأممي القاضي بتقسيم فلسطين ورضاهم به قاعدته للتفاوض لإقامة الدولة الفلسطينية كما هو مسوم في ذلك القرار الأممي بتاريخ ١٩٤٧. وإذا ما تكرر له إسرائيل فإننا نتذكر لميلادها كدولة لأن دولة إسرائيل قد ولدها ذلك القرار. وحث الرئيس بورقيبة الفلسطينيين في موقفه ذلك لأن مرضوا الآن بنصف فلسطين خيراً لهم من أن يخسروا كامل فلسطين! وما هي إلا سنتان ففقط حتى خسروها كلها في حرب حزيران ١٩٦٧.

قال له عرفان: ظلموك يا سيدي الرئيس... ظلموك في بيروت خلال الثورة الصحافية وظلموك عربياً... ظلموك وخسروا. وحصدنا كشعوب عربية الخسران المبين.

ابتهج الرئيس لشهادة عرفان وهو كان حاضراً بالندوة الصحافية في بيروت. ولما هم

بالمعودة الى المنزل دعانا للركوب معه في سيارته وحادثنا طوال الطريق ليس في السياسة لكن في القضايا البحتري وإساطين الشعراء العرب القدامى مبدياً بذلك قدرة فائقة جداً في استيعاب الشعر العربي وليس الفركوفوني فقط. واصر الرئيس ان يودعنا بنفسه ونحن نبراح نزل فونز بالاسن عائدين الى العاصمة جنيف يصرونوا لفلطين: كلا لم ننظر وحيرنا عندما على أنفسنا وخسنا الكفاح ولم نلتق منهم مساعدا ولو برضاة واحدا. وعرض الرئيس بورقيبة برنامجا سياسيا يدعو للفلسطينيين لإعلان اعترافهم بالقرار الأممي القاضي بتقسيم فلسطين ورضاهم به قاعدته للتفاوض لإقامة الدولة الفلسطينية كما هو مسوم في ذلك القرار الأممي بتاريخ ١٩٤٧. وإذا ما تكرر له إسرائيل فإننا نتذكر لميلادها كدولة لأن دولة إسرائيل قد ولدها ذلك القرار. وحث الرئيس بورقيبة الفلسطينيين في موقفه ذلك لأن مرضوا الآن بنصف فلسطين خيراً لهم من أن يخسروا كامل فلسطين! وما هي إلا سنتان ففقط حتى خسروها كلها في حرب حزيران ١٩٦٧.

قال له عرفان: ظلموك يا سيدي الرئيس... ظلموك في بيروت خلال الثورة الصحافية وظلموك عربياً... ظلموك وخسروا. وحصدنا كشعوب عربية الخسران المبين.

ابتهج الرئيس لشهادة عرفان وهو كان حاضراً بالندوة الصحافية في بيروت. ولما هم

* صحافي وكاتب تونسي.